نفاضة الجراب

فجائع الباثين

(٤)

مضت أيام وسعيد يجتهد فوق طاقته بحيث قدم فحصين عن دروس صفين في آن واحد حتى بلغ الصف المنتهي ليقرب وصوله الى المدارس العالية وظلّ مثابراً على خطته حتى خرج الاول من المدرسة ولم يترك جائزة لاحد من رفقائه في الصف فادهش المعلمين والتلاميذ وامّل الجميع بنجاحه في المستقبل وبعد ما نال الشهادة عزم على السفر واطلع الباشا على قصده فساعده على ما يريد ولم يتيسر له ان يختلي بجميلة ولكنه ودعها قائلاً «أؤمل ان اوفق الى مطلوبي» وذهب الى الاستانة تحف به الآمال وتشيعه الاحلام

حتى اذا بلغ دار السعادة اخذ يفكر في انتخاب مدرسة يتخرج فيها على النحو الذي يكون به في المستقبل جديراً بجميلة فلا تكبده ما لا يطيق من النفقات. فرأى ان دار المعلمين أحسن عائدة عليه لأن الأول في الصف فيها يقبض مشاهرةً ليرة عثمانية وكان يعتمد على نفسه بأنه سيحرز الاولية بيد أنه فكر بما سيؤول اليه أمره في المستقبل وما ذا سيكون من اشتغاله فلما أدرك انه سيصير معلماً للنشء وقيماً على الاطفال امتنع عن الدخول الى دار المعلمين وذلك لأن هذه الصناعة تعد قبيحة عند العامة وهو يود ان يصير في مقام

يكسب به جاهاً يخوله الحق ان يخطب جميلة من أبيها ثم فكر في حقيقة تعليم النشء وتدريبهم فأدرك انه بعمله هذا يكون علمهم العلوم وأحسن تربيتهم وجعلهم رجالاً للأمة وقد يعلمهم الموازرة والتضامن فيجعلهم جسماً واحداً وأمة واحدة كالبنيان المرصوص ويدربهم على الاعمال الشريفة التي تعود بالخير على وطنهم فينعم بذلك أجراً جزيلاً وثناء جميلاً . وربما أحرز منصباً في نظارة المعارف يجعله في أوج المعالي اذا ساعده الدهر وخدمه الحظ وكان مغروراً بحظه لما رأى من نفسه الثناء في الفوز بالاولية في الصف ومحبة الناس عامة . وبعد ان فكر ملياً في الامر أزمع الدخول الى هذه المدرسة فدخلها وأخذ يقضي أوقاته ويفني صحته في الدرس لينال ذلك الراتب . وفي غضون ذلك انتقل الباشا من دمشق برتبة أكبر الى مكان بعيد فساقته الضرورة الى الاكتفاء بهذا الراتب القليل

وكان سعيد لما بلغ الاستانة نزل في خان من خانات « شنبرلي طاش » واستأجر أصغر حجرة فيه يدفع ثلاثين قرشاً في كل شهر وقد أتى معه بفراش ولحف واشترى قطعة بساط عتيق فمده وجعل يجلس على فراشه كل من يزوره من اخوانه وكان يشتري ما يلزمه من الأواني شيئاً فشيئاً ويعيش في غاية الاقتصاد . فكلما دخل حجرته او اكل او شرب او نام يعتريه ضيق صدر فيشكو دهره ويقول الى متى وأنا مقضيٌّ عليَّ بالتقتير والحرمان من كل لذة وقد ينتهي في الاحايين الى درجة اليأس بحيث يكاد ينتحر ليخلص من هذه الحياة التعسة ثم يرجع الى نفسه ويقول قتل الانسان ما أكفره . لا بد من تحمل المشاق حتى انال السعادة ومهما عاكسني الدهر فاني قاهرهُ

بشدة صبري ثم يأخذ يفكر في مستقبله وماذا يفعله وربما تجسمت أمامه السعادة ورأى نفسه في أعلى المناصب وانه نال حينئذ وصالاً من حبيبته جميلة وبينا هو يخوض بحار هذه الخيالات يرى ساعة الدرس اتت فيلمن الدرس والاجتهاد لانه كان في حرب من الافكار

وكان يمتنع عن التنزه الا اذا اكرهه اخوانه على رفقتهم فيذهب حياة منهم فينغصون عيشه وهم بمالهم فرحون فكان اذا رأى منزلاً عالياً تذكر حجرته واذا رأى عربة جميلة تذكر ذهابه وايابه الى المدرسة ماشياً تحت المطر والثلج وان رأى نُزلاً تذكر دكان الطاهي الذي يتعشى فيها واذا استنشق هواء نقياً تذكر هواء حجرته الفاسد واذا رأى غادة تذكر حبيبته واذا رأى عجوزة تخدمها السراري تذكر أمه وهي تعمل في المطبخ. وكلما شاهد ما يدل على السعادة كان يذكر ما يقابله من شقائه فيرجع من التنزه حزيناً كئيباً وسود رفقاؤه مسرورين . ولذلك كان يعد أحسن أوقاته ساعة نومه الخالي من الاحلام اذ يستريح به من التفكر في الشقاء وكان كلما ذكر شقاءه يقطع أمله من جميلة ولكن الآمال كانت تبعث الاطمئنان الى قلبه . وقضى ثلاث سنين على هذا المنوال وهو بعيد عن راحة الفكر وانشراح الصدر فاتم الدراسة وأخذ شهادة تامة تؤهله لكل خدمة ثم عين معلماً براتب ثمانمائة قرش في الشهر فساقته الآمال واطمعته الرواتب وسعد به أبواه وأهله ولكن لم يمضِ زمن حتى مات أبوه وخلف له أسرة قضي عليه ان ينفق عليها فاصبح راتبه لا يكفيه وصار يلتمس ممن تعرف اليهم ان يعينوه معاوناً لمدير مكتب بيروت الاعدادي فبلغ راتبه الفاً ومائة قرش

على شرط ان لا يفارق المكتب الا ليلتين من كل أسبوع ويدرس أربع ساعات كل نهار ويعلم الرياضيات والتاريخ والانشاء فصار يتألم من تنوع الفنون التي يشتغل بها وكان يود ان يختص بفن واحد منها ولكن قلة الاجرة التي خُصصت للدروس اضطرته الى ان يتحمل هذا العذاب ويمنع نفسه من الاختصاص بفن واحد ومع كثرة اشتغاله وتألمه من كثرة عائلته ما انقطع لحظة عن التفكر بجميلة ولكن بعدها عنه وانقطاع أخبارها جعلاه في يأس من الوصول اليها وكان في احتياج للزواج

(٥)

في يوم راقت سماؤه ورق هواؤه ذهب سعيد مع صديق له يسمى رفيقاً الى متنزه ضبيا ليصرف وقتاً بدون فكر ويتخلى ساعة عن بؤسه وشقائه . فاخذا يتجاذبان اطراف الحديث في كل ما خطر ببالهما . فساقهما الكلام الى البحث في الزواج شأن من لم يتزوجوا من الشبان وكان لرفيق أخوات جميلات متعلمات يود الناس الزواج بهن ولكن كان له أم عرفت بمساوىء الاخلاق واشتهرت بسوء الطوية فامتنع الناس عن التأهل باخواته . وكان رفيق في كدر من كساد هن وهو على علم من مكانة سعيد في الحال والمآل فتصور سعادة لاخته في قرانها بسعيد فتجاسر وكلفه بان يصير له صهراً ففكر سعيد هنيهة ووعده بالقبول فتعهد رفيق باسكانه في منزله واعتباره واحداً من اهله وفرداً من افراد عائلته وافترقا على أمل القران فذهب رفيق وأخبر أمه بما جرى بينه وبين سعيد ومدحه لها وأعلمها براتبه وأفهمها مستقبله فسرت به وأملت بسعادة ابنتها فرضيت

وساقت ابنها الى اتمام هذا الامر فذهب اليه غير مرة وسأله عن عزمه فاجابه بالقبول وكان سعيد فكّر في جميلة وما بينهما من الوعد. ولكنه استبعد ثبات النساء على أقوالهن والوصول اليها لما بينه وبينها من الامتياز في الطبقة وعبثاً رأى نفسه معلقة بها فرضي بالزواج وتكلم مع رفيق على مقدار المهر فرضي هذا بخمسة آلاف بعد قبول أمه ولكنهما قررا على ان يعقدا النكاح على مهر مقداره ١٥٠ ليرة رثاء أمام الناس وعينت ليلة العقد ودعي الاقارب والخلان وشربت المرطبات وتولى الشيخ صيغة العقد وذهب كل من حضر داعياً بلسانه وهم ما بين معترض ومنتقد وساب وشاتم وحامد

وعينت ليلة العرس ودفع المهر سعيد فاستدان وباع راتبه بنقص ليقبضه قبل ميعاده حتى يقوم بما يلزم من نفقات العرس

واجتمع بقرينته « شهيرة » فوجدها على ما يرغب وسرّ بها وظن انه نال السعادة فصار معززاً مكرماً لدى أُسرة رفيق بأسرها ولكنه وقع في قبضة الديون بعد ان كان يقتصد من راتبه ويجمع دراهم وصرت لا تراهُ الا شاكياً باكياً من دهره يفكر ويقدّر فيما يجعله غنياً وكانت عنده (تحويلات) البنك العقاري وتحويلات سكة حديد الروم ايلي فرهنها على مبلغ ليوفي ديونه فا خلص منها ولكن لذة ليالي الوصال واوقات الاجتماع كانت تنسيه همه وتسليه عن غمه . وظل نحو شهرين بين مسرور بزوجته ومغموم بديونه وكان أخبر أمهُ التي تركها بدمشق بزواجه فأرسلت تطلب منهُ ان تحضر اليه لترى كنّتها وتلتقي بابنها فاستدان لها مبلغاً ارسله اليها فأتت ونزلت ضيفة في بيت رفيق ولم تلبث يوماً او بعض يوم حتى اخذت أم رفيق تهينها هي وبناتها

الاشهيرة امرأة سعيد فانها كانت تجلها رعاية لقرينها فتكدرت أم سعيد وأخبرت ابنها بما وقع لها فأسف لذلك واضطر الى الرحيل فاتخذ له داراً سكنها هو وأمه وامرأته فزادت نفقته وازدادت ديونه فصعب انتقاله على أم رفيق لانه كان يشترك معها في الانفاق على البيت وكانت تقتصد بسببه وتخفف نفقات ابنها فسعت في ارجاع ابنتها بدعوى انها لا تطيق السكنى مع أمه وكانت تعلم ابنتها ما تقوله فصارت هذه تلح عليه باعتزال أمه وتبدي له الجفاء بعد أن كان لا يرى منها الا المحبة والوفاء فصار يؤاخذها على اعمالها وينصح لها بأن لا تسمع كلام أمها فما سمعت له وتركته وحيداً من اجل أن تنال رضى أمها ورجعت الى بيت أخيها . اغتنمت تغيب أهل الدار ذات يوم فأتت بحمالين ونقلت متاعها وتركت الدار بلا أثاث فرجع سعيد في المساء فلم يجد متاعاً وأخبره الجيران بما تم فلعن حماته والساعة التي عرف بها رفيقاً وكانت أمرأته حاملاً قد اقربت وكان أخوها متغيباً عن بيروت عند ما تمت هذه الاعمال القبيحة فلما رجع اخبرته أمه وعظمت الامر في عينه حتى جعلت سعيداً فحمة سوداء أو حية رقطاء وصورته لابنها مثال الدناءة والرذيلة وجردته من كل شهامة وخلة كريمة ونسبت اليه من الاعمال ما لم يخطر له على بال حتى أشربته بغض صهره وساقه الحنو الاخوي للانتصار لاخته وأعماه كلام أمه عن رؤية الحق وراح يظن الباطل حقاً وأصبح لا يثق بكلام سعيد فبدلاً من ان ينصح لاخته وأمه أخذ يزيدهما عتواً وطغياناً . وكان سعيد يسعى ليصلح الخلل ونصح لرفيق ووعظه فما استفاد الا هجراً وصداً فتركه وشأنه

وضعت شهيرة فطلبوا منه نفقات الوضع فما تأخر عن طلبهم وأرسل اليهم جميع ما يلزمهم من دراهم وغير ذلك على أمل ان يرجعوا عن غيهم . فولدت الفتاة غلاماً فرح به أبوه ولكنه لم يتيسر له ان يراه وصار يتوسط ليزى مهجة فؤاده فلم يحظ بطائل. وعندها رأى ان يهجر أهل زوجته هجراً جيلاً فاغتاظ رفيق لذلك وأقام الدعوى عليه في المحكمة الشرعية فأتى بشهود من أقار به ليشهدوا ان سعيداً طلّق شهيرة فشهدوا بالطلاق وانه لم يدفع من مهرها المسجل شيئاً وقدره مائة وخمسون ليرة وهنا أدرك سعيد انه وقع في شَرَك احتيال رفيق الذي اتفق معه على خمسة آلاف قرش وكتب العقد بـ ١٥٠ ليرة ولكنه أقام البراهين والادلة القاطعة على انه دفع المهر وانه لم يسبق منه طلاق وان الفتاة زوجته في كل وقت وانه يحبها وان تعيين هذا القدر من المهر كان من قبيل التظاهر امام الناس بالسمة ومفاخرة لا حقيقة

فادرك القاضي اخلاصه وأيقن بصحة دفع الخمسة آلاف من المهر المسجل وما استطاع الا ان يحكم ببقية المائة والخمسين ليرة مهراً مؤجلاً لانه مسجل بالقيود وشهادة الشهود على انه موقن بعدم صحة هذا المهر المسجل ورتب على سعيد مائة وخمسين قرشاً في كل شهر أجرة الحضانة وتربية ابنه وحكم ببقاء الزوجية

فعند ذلك يئس سعيد من امكان الاجتماع بزوجته الا اذا ماتت حماته ولم يجسر على الطلاق خوفاً من ان يحق عليه اداء بقية المهر لانه لم يبرح رازحاً تحت أحمال الديون التي تذهب ببركة راتبه كل شهر وأخذ يشكو من آلام الوحدة بعد ان كان يعيش العيشة الزوجية فساقته الضرورة الى الميل

للزواج مرة ثانية فوسط امرأة من اللواتي يتوسطن للنساء « سمسارات » واوصاها بان تفتش له على زوجة غنية لا أم لها ولا اب ولا اخوات

(٦)

من عجائب الاتفاق ان علي باشا عاد الى بيروت بمنصب أعلى من منصبه سابقاً فانشأ سعيد يتردد عليه ويزوره في أغلب الاحايين

علمت جميلة بما حل بسعيد فأسفت عليه وشمتت به لانه خان عهدها على أنها لا تزال مقيمة على العهد ويئست من الزواج وعزفت نفسها عن الرجال وحكمت عليهم بانهم أقل وفاء من النساء ولكنها ودت الاجتماع به لتعاتبه وتشكواليه وتشكو منه لانها لم تطلع احداً على سرها وأخذت تسعى وراء مقصدها حتى تيسر لها ان تخلو به في منزل أبيها فرحبت به وأخذت تعاتبه قائلة : لم يخطر ببالي انك ستخون عهدي لاني لم أعهد فيك الا الوفاء والثبات ومكارم الاخلاق فما الذي حملك على الخيانة ؟

— نعم خنت عهدكِ على ان مكانك لا يزال محفوظاً في قلبي ولكن علمي بمنزلتي وعدم امكان اقتراني بك واحتياجي الى تدبير امر معاشي وتنظيم حياتي ساقاني الى ذلك الزواج المشؤوم لازداد شقاء على شقاء وأنال جزاء خياتي لعهدك وكان ينبغي ان أبقى على الوفاء ولو عشت العمر كله في حرمان

فضحكت جميلة ثم قالت : هب اني لم أشك بما أعهده فيك وانك لا تزال على عهدك القديم فما الذي ساقك الى الزواج مرةً أخرى وأنت على علم من حبي لك ووجودي في بيروت ؟

— لم أقصد من ذلك الا تعذيب زوجتي والانتقام منها لاني اعلم ان

اعظم ما يجازى به النساء الزواج عليهن ولو كانت الواحدة منهن مطلقة وعلى عصمة زوج آخر

— وهذا هو العجب العجاب ! فكيف يليق بمتنوّر الفكر مثلك عُرف بمكارم الاخلاق أن يتنازل للانتقام ؟ أنسيت أن الرجال لا ينتقمون عند المقدرة ؟

— لا أنكر أن الانتقام نقيصة في الرجال ولكن اذا كان الذي لا انتقم منه يعدُّ عدم انتقامك جبناً ويزيد في طغيانه فهل يعامل الا بالانتقام ؟ « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما أعتدى عليكم » ودفع الشر بالشر أحزم ، واللئام لا يعاملون بغير الانتقام

— هب اني سلمت لك بأن الانتقام من هؤلاء الانذال واجب عليك واذا لم تفعل تلام فقل لي بأبيك ألا تأمل ارجاع امرأتك ؟

— لا أخفي عنكِ انني ربما رضيت بها اذا رجعت عن غيها وعلمت أن لا خلاص لها مني واصلحت نفسها وماتت أمها كلّ هذا اذا كنت في يأسٍ منكِ

— فأنت اذاً عازم على الانتقام منها بزواج امرأة أخرى ؟ ألا تصح اذا رجعت اليك ذا الزوجتين ؟ فكيف تصور لك راحة او هناء بين زوجتين وانت على علم بأن من يتزوج امرأتين يشتري عذابه بيده فينغص تنغيصاً لا نهاية له ويلقي بنفسه في الغم والهم ، واذا طلقت الثانية لترجع الى الاولى فيكون عملك مما يشين العقلاء لان النساء لسن كما يقول بعض الجهلاء كالحذاء متى ما مللت منه تنزعه من رجلك ! . وتذكر ما كتبته احدى

متذكرين من أن رجلاً رأى في منامه ان حذاءهُ سقط في النهر فراجع كتب تفسير الاحلام فلم يجد تعبيراً لرؤياه سوى مفارقة زوجته فطلق امرأته تفسيراً لمنامه وتصديقاً لكتب الحشو . على ان العاقل البصير يحترم النساء لانهن جنس لطيف جدير بالتعظيم والمحبة . النساء أمهاتكم اللواتي يعانين انواع العذاب في الوضع فمن لم تكن أُمك فهي أمُّ اخيك او ابيك او صديقك او جارك او ابنك . فكيف يليق بك أن تطلق زوجتك بعد ما تستوفي حظوظك منها وتذهب برأس مالها فتتركها محرومةً من الزواج ولا يدورنَّ في خلدك اني لا اذكر ان الله تعالى أجاز لكم أن تأخذوا من النساء مثنى وثلاث ورباع ولكنه جل شأنه شرط عليكم العدل ثم ذكركم بأنكم لا تستطيعون أن تعدلوا بين النساء . وكيف ترضى امرأة بشريكة لها في حياتها بأعمالها وأفراحها ؟ ألا تضطر أن تحرمها منك لتعدل بين الاثنتين وتعاملها بالمساواة ، أو يخطر ببالك ان تلك التعسة تنام تلك الليلة وهي على علم من انك عند أعدى عدوّاتها ؟ ثم افرض ان الاثنتين اتفقتا — وهذا ضرب من المحال — أليس من الممكن أن يأتيك اولاد من الاثنتين ؟ وبديهي أن يتنازع اولادك على أقل سبب فاذا انتصرت الواحدة لابنها لا تكت الاخرى فيقع النفور بينها وبين الاخوة فتحرم بذلك راحتك وتفقد سعادة عائلتك فاذا كان الشقاق دأب بيتك ونشأ الأخ على بغض أخيه فكيف تؤمل منه خيراً للهيئة الاجتماعية ؟ أوهل لك سبيل الى الاقناع بأن تعدُّد الزوجات حسن ونتائجه حسنة ؟

— لا يعني الانكار بضرة تعدد الزوجات الا اذا كان عن ضرورة

وللضرورة احكام ، ولا انكر أن الشرع الشريف لم يبحه الا لهذا السبب وما فرضه علينا فرضاً فمن لم يكن في اضطرار الى تعداد زوجاته فلا يليق به الا الرضا بواحدة

واذا صفا لك من زمانك واحد نعم الصديق فعش بذاك الواحد

— فاذا وافقتك الجديدة وأعجبتك بخلقها وخلقها وطلقت شهيرة فماذا تكون حال ولدك منها ؟ لو كان أجمل ولد في العالم وكنت أعقل رجل لا بد من ان تسقطه من عينك وتجعله نقطة سوداء لان المرأة عدوة طبيعية لابن زوجها فاذا نشأ ابنك في ظلم امرأتك واستبدادها ألا تكون حينئذ قد جنيت عليه ؟ وأنت في عيني أعظم من ان ترتكب جناية مثل هذه وهب انه سمحت لك كل هذه الاحوال أليس من العار ان تتزوج باسم الانتقام أو باسم الاحتياج وانت تعلم ان القصد من التأهل اتخاذ قرينة تشارك الرجل في أفراحه وتشاطره اتراحه ويكمل بها ويعيش معها عيشة راضية فيقومان بما يجب عليهما للمجتمع الانساني وهذا الامر لا يتم الا بقران الرجل بمن توافقه طبيعة ومزاجاً وأخلاقاً ولذلك أرى ان تسعى في استرضاء خاطر شهيرة اذا كانت فيها هذه الشروط وترضى بما قسم لك ربك وتربي ابنك كما تشاء لتجعله خير الخلف من بعدك عساه يكون لك ذخراً وسنداً

— أنا وحقك معترف بما أتيت به من الحقائق ومن الاسف انه لم يتيسر لي الاقتران بمن توافقني وتكون جامعة لشروطك ولو أسعفني الحظ وتزوجت منك لسعدت وما أتاحت لي الايام ان أقع في المهالك والاخطار — قضي الامر وكان بودي ان اكون قرينة لك ولكنك عجلت

فاخطأت وحرمت نفسك مني وحرمتني بعملك من التأهل بغيرك لاني وعدتك بان لا أرضى بسواك ومن شيمي وطبعي الثبات على وعدي فلهذا لا اقترن باحد وسأعيش عانساً متبتلة وانحكم القضاء راضية

فلما سمع سعيد هذه العبارة احمر وجهه وأطرق خجلاً وود الموت ليخلص مما عراه من الخجل امام من فاقته بمكارم أخلاقها واستولى عليه السكوت وانقطع عن الحركة

فلما أدركت خجله قالت لا تستحي فانك لست أول رجل خان الجنس اللطيف بوعده فمهما كان الرجل عاقلاً رقيق الشعور كريم العواطف والاخلاق لا يزال في عتو بدعوى التفوق على النساء ولا يعد الخطأ امامهن الا من قبيل السهو والنسيان الملازمين للبشر ولكن كن على ثقة من انه سيجيء يوم ترتقي فيه الهيئة البشرية وتعلم منزلة المرأة وواجبات الرجال نحوها فتحفظ حقوقها فتصبح معززة مكرمة ولا يجسر احد حينئذ على خيانتها لان عمله يعد سقوطاً في الاخلاق ، وأرجو منك أيها الصديق ان لا يشق عليك كلامي وما لك الا الاذعان والاعتراف بالذنب لاني صاحبة الحق . وأما أنا فاني اسلمت امري لخالقي الذي جعلني بائسة محرومة من شرف السعادة الحقيقية

فعند ذلك قام وعبرات الاسى تنهمل من عينيه على خديه واخذ يقبل يديها ويقول : ها أناذا أكرر اعترافي بذنبي فاعف عني والعفو من شيمك ولا تزيديني هماً وخجلاً فوق كدري ، وارحمي شبابي لئلا يسوقني هذا العذاب الى الانتحار

فضحكت وقالت : ارجو أن تجلس في مكانك . أتدري سبب ضحكي ؟ قال : لا . فقالت لاني قرأت من الروايات واخبار العشاق ما لم أتذكر عدده وقد ثبت لديَّ ان الرجال يستعطفون النساء ويستميلونهن بدعوى الانتحار فلا يصدق دعواهم الا اللواتي حرمهن الخالق من العقل والعلم وكم قرأت وسمعت من اخبار الرجال الذين كانوا عزموا على الانتحار من اجل معشوقاتهم وبعد ان حظوا بقربهن تركوهن يعانين آلام العذاب وندر من انتحر والنادر لا حكم له . واني لأودُّ ان اسمع من عاقل مثلك ان يقول هذا الكلام فلو كنت ممن يطيب لهم الانتحار لصبرت من اجلي وعملت مثلي . هذا والشائع على الالسن ان الرجال اقدر من النساء على ضبط انفسهم ولكني رأيتك مع شدة عقلك ومتانة اخلاقك لم تمنع نفسك من خيانة العهد

— كفى سيدتي أما قلت لك اني تزوجت اضطراراً علماً مني انه من المحال ان اصل اليكِ لما بيننا من الدرجات والفروق

— هل طلبتني ورجعت خائباً حتى تعتذر هذا الاعتذار الواهي ؟

— لا أجرأ على ان اخطبك لاني كنت على يقين من رجوعي خائباً وخفت ان تحول عني انظار الباشا وان تنقلب محبته لي نفوراً مني فأكون حينئذ ضيعت آمالي على اني ما زلت غريقاً في بحر الآمال

— ماذا تقول ؟ أجننت ام تهذر ؟

— اعذرني على خطاءي ولا تجرحي حواسي فاني ما زلت اسعد بها

— ماذا تقول ؟ لقد صغرت في عيني بعد ما كنت كبيراً ! . أنسيت اننا كنا نتكلم عن تعدد الزوجات ووصف مضراته ؟ وكيف يخيل اليك ان

بجعلني شريكةً لمن خربت آمالي وجعلتني في حرمان من حبيبي الخائن :

- آه سيدتي دعي عنك هذا الكلام فاني سأطلقها من أجلك وارجع اليك اذا ساعدني الحظ

— كيف تطلق زوجتك امّ ولدك وانت تعلم ان ابغض الحلال الى الله الطلاق وماذا تكون حالها بعد الطلاق وماذا يؤول اليه امر ابنك التعيس الذي سيتربى على غير ما تريد ؟

— أنسيت ان الله تعالى قال فامساك بمعروف او تسريح باحسان على اني سعيت لامساكها بمعروف فلم يتيسر لي لانها شربت لبن اللؤم من امها ولا امل لي باصلاح حالها وهي كلما تقدمت ودرست على امها زادت لؤماً وخبثاً وبغضاً اليّ فطبيعة الحال تسوقني الى تسريحها واما ابني فانه أُهمل وترك للطبيعة تتصرف به كما تشاء فخانته وسلطت عليه الامراض وقد اخبرني الطبيب ان لا امل في حياته واذا مات اراحنا واستراح وبذلك تزول الموانع ويبقى مانع واحد وهو قبول الباشا الذي لا سبيل اليه فهل اليه من وسيلة ؟

— انا ثابتة على قولي وعهدي ولكن وجود زوجتك يمنعني عن قبول ذلك

فاقسم لها بالله بانه لو لم يخف من الحكم عليه بدفع بقية مهرها لطلقها ثم قال : لا يخفى عليك قلة ذات يدي وعدم اقتداري على دفع المبلغ ولعل الحظ يسعفني فيموت ابني على انى اعدك وعد حر انه يستحيل اجتماعي بها بعد الآن